

ورقة سياسات

تبادل الأسرى:
السيناريوهات المطروحة
عصمت منصور *



أدت عملية طوفان الأقصى الاستراتيجية وغير المسبوقة في تاريخ الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي التي نفذتها حركة حماس في مستوطنات غلاف غزة في السابع من أكتوبر 2023، إلى خلق وضع غير مسبوق في الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، وخصوصًا من ناحيتين:

أولاً: وقوع عدد كبير جدًا من القتلى والجرحى في صفوف العسكريين والمدنيين الإسرائيليين، وهي خسارة بشرية لم تعهدها إسرائيل من قبل، الأمر الذي أفقدها توازنها، خاصة بسبب عدم قدرتها على إحباطها أو التنبؤ بها، ما اعتبر فشلًا استخباراتيًا وأمنيًا كارثيًا، وشكّلت ضربة معنوية وعسكرية أحدثت هزة عميقة في ثقة الإسرائيلي بنفسه وبمنظومته الأمنية وقيادته، وشعوره بفقدان الأمن الشخصي والجماعي.

ثانيًا: وجود حوالي 240 أسيرًا لدى المقاومة، وقدرتها على الاحتفاظ بهم حتى كتابة هذه السطور، وهو ما أضفى على العملية بعدًا إضافيًا لا يتعلق بالأهداف العسكرية والسياسية التي ستترتب على نتائج الحرب، وهو بعد داخلي يتعلّق بالأسرى وعائلاتهم.

تنظر إسرائيل تاريخيًا إلى عمليات الاختطاف ووقوع أسرى من جنودها ومواطنيها في قبضة فصائل المقاومة على أنه حدث استراتيجي تحاول منعه حتى لو بثمن قتل المخطوفين مع خاطفيهم، أو ما يعرف بإجراء/ بروتوكول "هانيبال"،¹ وذلك لما لهذا الحدث من تداعيات أمنية وسياسية ومعنوية بعيدة المدى، تضعها في حالة من الضعف وتجعلها عرضة للابتزاز وتجبرها على الدخول في مفاوضات (غير مباشرة) تضطر فيها لتقديم "أثمان" كبيرة، كما أنه يمس بقدرة وصورة ردعها، ويجبرها على التعاطي مع جهات لا تعترف بها ولا بمشروعيتها وهو ما يعد اعترافًا ضمنيًا بها.

وجود هذا العدد الكبير من الأسرى في قطاع غزة، جعل من "تحريرهم" واحدًا من أهداف الحرب التي تشنها إسرائيل على غزة،² وجزءًا من الخطاب الإعلامي والسياسي الإسرائيلي، كما أن "تحريرهم" تحول إلى مطلب دولي يردده زعماء العالم المؤيدين لإسرائيل، وجزءًا من القرارات الدولية التي صدرت عن مجلس الأمن والأمم المتحدة، وهو ما حوله إلى صورة الانتصار أو المقياس الذي ستقاس عليه نتائج الحرب، خاصة في ضوء تعالي الأصوات المطالبة بإنهاء هذه القضية من قبل عائلات الأسرى الإسرائيليين، ودخول دول كثيرة على خط الوساطة بين المقاومة وإسرائيل.

مكانة قضية الأسرى إسرائيليا وفلسطينيا

تحتجز إسرائيل ما لا يقل عن سبعة آلاف أسير فلسطيني في سجونها، أمضى البعض منهم قرابة أربعة عقود خلف القضبان، وهم جزءًا من أكثر من مليون فلسطيني وفلسطينية اعتقلتهم سلطات الاحتلال منذ احتلالها للاراضي الفلسطينية في العام 1967.³

يعيش الأسرى ظروف اعتقال قاسية، خاصة بعد السابع من أكتوبر، فقد استشهد من بينهم ست أسرى خلال شهر ونصف بسبب إساءة المعاملة والتعذيب وحملات التنكيل التي يتعرضون لها.

تعتبر قضية الأسرى الفلسطينيين واحدة من القضايا ذات الثقل الأخلاقي والمعنوي والسياسي والديني في المجتمع الفلسطيني، فهي تمس كل بيت، كما أن الأسرى يعتبرون الطليعة المقاتلة التي ضحت من أجل مجتمعها، عدا عن كونهم فئة مؤثرة، وبخاصة أن جزءًا كبيرًا من الأسرى المحررين احتلوا مواقع قيادية مهمة في السلطة ومنظمة التحرير والفصائل الفلسطينية، تحديدًا في هذه الفتة لي يقود فيها معركة التصدي للعدوان الإسرائيلي على غزة، ويحتفظ بالأسرى الإسرائيليين

أسرى فلسطينيين تحرر جزء كبير منهم في صفقة التبادل التي عقدت بين حركة حماس وإسرائيل في 2011 وأبرزهم يحيى السنوار وروحي مشتهى وصالح العاروري وغيرهم.

" تعتبر قضية الأسرى الفلسطينيين واحدة من القضايا ذات الثقل الاخلاقي والمعنوي والسياسي والديني في المجتمع الفلسطيني "

من ناحية أخرى، يُعد مطلب تحرير الأسرى واحدًا من المطالب والأهداف الأساسية التي تعهدت بها الأطراف الفلسطينية الفاعلة وطنيًا وسياسيًا وقانونيًا وعسكريًا، بل وينظر إليه البعض على أنه أولوية وطنية ودينية توازي في أهميتها وأولويتها تحرير الأرض.⁴ على الصعيد المقابل، تُعد قضية تحرير الأسرى الإسرائيليين قضية جوهرية متعددة الأبعاد بالنسبة لإسرائيل، وهي تحتل مكانة استراتيجية في أدبيات المجتمع في إسرائيل بشكل عام. فعدا عن كون (افتداء الأسير) فريضة دينية؛⁵ فإن المجتمع الإسرائيلي يبدي حساسية كبيرة ويستعد لدفع ثمن كبير مقابل تحرير أسراه، ولذلك شهدنا صفقات تبادل حررت بموجبها إسرائيل آلاف الأسرى الفلسطينيين مقابل أعداد محدودة جدًا من أسراها، وذلك يأتي ترجمة لمبدأ وميثاق غير مكتوب بين المجتمع والدولة يقضي بأن تتعهد الدولة بتحرير أسراها الذين يقعون في أسر "العدو" - بأي ثمن - مقابل ضمان استمرار المجتمع والعائلات بإرسال أبنائها للخدمة في الجيش وتعريض حياتهم للخطر.

منذ إنشائها وحتى العام 1975 كانت صفقات تبادل الأسرى تتم بين جنود ينتمون لجيوش تابعة لدول عربية (الأردن ولبنان ومصر وسوريا) وجنود إسرائيليين، وهي صفقات تجري بأعداد متقاربة، وتتم بسلاسة دون تعقيدات، على اعتبار أن الحديث يدور عن جنود في جيوش نظامية تابعة لدول أنهت القتال فيما بينها.

التغير الجذري حدث في العام 1979 عندما حررت إسرائيل 76 أسيرًا مقابل جندي واحد، تبعثها صفقة ضمت 3700 أسير مقابل ستة جنود ومن ثم صفقة أحمد جبريل الشهيرة التي تحرر فيها 1150 أسير وأسيرة مقابل ثلاثة جنود وهي صفقات تمت بين فصائل فلسطينية، تبعثها عدة صفقات بين إسرائيل وحزب الله اللبناني، وأخيرًا صفقة وفاء الأحرار - أو كما تُعرف بـ "صفقة شاليط" التي تحرر فيها 1072 أسير فلسطيني مقابل جندي إسرائيلي واحد.⁶

تكرار الصفقات والثلث الكبير الذي كانت تدفعه إسرائيل مقابل استعادة جنودها، أثار جدلاً إسرائيليًا داخليًا واسعًا حول شرعية هذه الصفقات وجدواها وأخلاقيتها، خاصة أنها أخذت تتطور وتشمل تحرير أسرى مقابل جثث جنود ومدنيين أحيانًا، كما أنها انتقلت من الخارج إلى الداخل (غزة).

ميثاق غير مكتوب

شكل سؤال الثمن والجدوى والأضرار المحتملة لكل صفقة تبادل، وما إذا كان دفع الثمن الذي تطالب به فصائل المقاومة الفلسطينية والعربية يشكل علامة قوة ويساهم في تعزيز تماسك ومناعة المجتمع والثقة بالقيادة والجيش، أم خاصرة رخوة وعلامة ضعف ومادة تشجع على تنفيذ عمليات خطف إضافية وابتزاز إسرائيل، مادة خصبة لجدل لم يتوقف لحظة واحدة داخل المجتمع الاسرائيلي، وهو جدل كان ينتهي دائماً بذات النتيجة، وهي أن إسرائيل لا تستطيع أن تترك جنودها (أو مواطنيها) أسرى لدى فصائل أو دول عربية، لما لهذا السلوك من آثار سلبية على المجتمع والحافز للتجند، كما أنه سيمس قيمة عليا دينياً واجتماعياً (افتداء الأسير) وسينعكس سلباً على وحدة المجتمع ويلقي ظلالاً ثقيلة من الشك حول شرعية الجهة التي تتخذه، في ظل الضغط الإعلامي والجماهيري الذي تقوده عادة عائلات الأسرى.

وعلى الرغم من إقرارها بالميثاق غير المكتوب بين المؤسسة العسكرية والسياسية من جهة ومجتمع المتجندين من جهة أخرى، تلقت إسرائيل ضربة استراتيجية غير مسبقة في السابع من أكتوبر، وفي كل مرة كانت هذه المحاولات تنتهي بالفشل. أبرز هذه المحاولات قام بها وزير الدفاع ورئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك، والمعروف بتاريخه العسكري العريق (الجندي رقم واحد وصاحب أكبر رصيد من الأوسمة في الجيش) من خلال تشكيل لجنة خاصة في العام 2008 ترأسها القاضي المتقاعد في المحكمة العليا مئير شمعغار.⁷ استمر عمل اللجنة أربع سنوات قدمت في نهايتها تقريراً سرياً من 100 صفحة لم يتم إتاحتها للجمهور للاطلاع عليه. اللجنة قررت في بداية عملها أن تقريرها لن ينشر للعلن ولن تطبق التوصيات التي ستتوصل إليها دون إنهاء التفاوض وعودة الجندي المحتجز لدى حماس في غزة آنذاك جلعاد شاليط.

رغم سرية تقريرها إلا أن بعض المبادئ العامة تم تسريبها وقد حددت الإطار المخوّل بإدارة المفاوضات (وزارة الدفاع) وآلية التفاوض (طواقم وليس وسطاء وممثلين عن رئيس الحكومة) كما صنفت المخطوفين من حيث الأهمية (جندي، مواطن يخطف من البلاد، مواطن يخطف خارج البلاد، مواطن يدخل بالخطأ حدود دولة معادية)، كما وضعت سلم أولويات في كيفية التعامل مع قضية الأسرى تبدأ باستنفاد الوسائل العسكرية يليها الضغط والدبلوماسية والمجتمع الدولي، وصولاً إلى التفاوض، وألا يتجاوز العدد عن بضعة أفراد مقابل كل جندي. هذه المبادئ جاءت لتجمل تاريخ طويل من التعامل مع صفقات التبادل وهي تمثل الامتحان الحقيقي في التعامل مع ما يقارب 240 أسيراً إسرائيلياً لدى المقاومة في قطاع غزة.

الحاجة لصورة انتصار

أ- بالنسبة لحركة حماس:

على الرغم من أن قائد كتائب عز الدين القسام محمد الضيف، الذي قاد عملية طوفان الأقصى، لم يذكر الأسرى في خطاب العملية الذي وزع على وسائل الإعلام بالتزامن مع انطلاقها، إلا أن تحرير الأسرى اعتبر الهدف الرئيسي من عملية الخطف، والصورة الختامية التي ستسعى حماس لتتويج عملياتها بها، على شكل انتصار يتجسد في تبيض السجون،⁸ وإطلاق سراح الأسرى. أهمية إضافية

تكتسبها عملية تبادل ناجحة لدى حماس تكمن في قدرتها على التعويض عن مشاهد الدمار التي خلفتها الحرب وارتقاء آلاف الضحايا من النساء والأطفال. كما أن ورقة الأسرى (خاصة الجنود) تُعد ورقة ابتزاز قوية في يدها ستحتفظ بها حتى نهاية الحرب من أجل تحسين أوراقها التفاوضية. في المقابل سوف تحاول أن تناور وأن تخفف من حدة العدوان والحصار والتمن الإنساني من خلال بعض الحالات الإنسانية (الأطفال والنساء). تدرك حماس أن احتفاظها بورقة الأسرى سيحولها إلى لاعب يسعى الوسطاء الإقليميون والدوليون إلى التواصل معه وهو ما سيضفي مشروعية ضمنية على وجودها في مقابل محاولات شيطنتها ونبذها دوليًا، كما أنها ستشكل مادة دعائية مهمة تستخدمها في تحسين صورتها أو خلق جدول أعمال إعلامي يخدمها في معركتها.

ب- بالنسبة لإسرائيل:

تلقت إسرائيل ضربة استراتيجية غير مسبقة في السابع من أكتوبر، وفي مواجهة تداعياتها السلبية على هيبتها وصورة ردعها ومكانتها في المنطقة والعالم، تسعى إلى تحقيق نصر (حاسم وغير مشكوك فيه) على حركة حماس. وبما أن مكانة وهيبة وصورة إسرائيل على المحك، يصبح كل تنازل أو إبداء تراخٍ أمام حماس، بمثابة حدث استراتيجي، وهو وضع يقيد قاداتها عن إبداء أي مرونة، لا بل ويحثهم على البحث عن صورة انتصار واضحة.

" تلقت إسرائيل ضربة استراتيجية غير مسبقة في السابع من أكتوبر "

إن انعكاس هذه الحالة الاستراتيجية والنفسية والمعنوية على ملف الأسرى المخطوفين في غزة يكبل يد القيادة السياسية والأمنية، خاصة بعد أن حولت قضية تحرير الأسرى إلى هدف رئيسي ثانٍ للحرب (بعد هدف إنهاء حكم حماس وتجريدها من سلاحها). إن الضغط الشعبي المتنامي والدائرة الآخذة في الاتساع من مؤثرين وسياسيين وجنرالات سابقين حول عائلات الأسرى والمساحة الكبيرة التي باتت تحتلها هذه القضية في الجدل الإعلامي والداخلي تشكل عاملاً معادلاً للاعتبارات الأولى وتتصارع معها على المكانة والأهمية، من ناحية أخرى، لا تترك عائلات الأسرى والحملات المناصرة لهم أي هامش للمناورة أمام المستوى السياسي والأمني عندما تطرح شعارات مثل (الآن وكل ما لدينا مقابل كل ما لديهم). إن المخرج الذي أوجدهته القيادة السياسية والعسكرية لهذه المعضلة الكبرى تمثل في تبني مطلب تحرير الأسرى باعتباره واحدًا من أهداف الحرب، مع التشديد المتكرر من قبل المجلس الوزاري المصغر "كابينيت الحرب" أن الضغط المتواصل والاستمرار في الحرب وتشديد الحصار على المدنيين في غزة هو العامل الذي سيمكّن إسرائيل من امتلاك أدوات للضغط على حماس وإجبارها على تحرير

الأُسرى. وتجاوبًا مع ضغط الشارع والمطالبة الأمريكية وتدخل الوسطاء، أبدى "كابينيت الحرب" مرونة في التعاطي مع مطلب تحرير بعض الأسرى مقابل وقف القتال لأيام محدودة وتسهيل تدفق المساعدات الإنسانية، ليظهر من هذه المحاولات حجم التعقيدات وحجم الهوة بين الطرفين (حماس وإسرائيل) وانعدام الثقة بينهما، وهو ما يخفض من سقف التوقعات مستقبلًا.

السيناريوهات المتوقعة

من الصورة المرسومة أعلاه يتضح أن التوافق على إطار حل يؤمن صورة انتصار وإنجاز للطرفين ومنطقة وسط يخرج منها كل الأطراف رابحين تبدو مستحيلة، وهذا يجعل السيناريوهات مفتوحة على أكثر من اتجاه:

السيناريو الأول: التوصل إلى اتفاق جزئي يمنح حماس فرصة لهدنة قصيرة وإدخال مساعدات مقابل تحرير بعض الحالات الإنسانية، كما يمنح لنتنياهو بعض المصداقية أمام العائلات ويخفف من حدة الضغط.

ميزة هذا السيناريو أن بالإمكان تسويقه على أنه مؤقت واضطراري انساني لا يؤثر على خطط إسرائيل واستمرار القتال، كما أنه يمنح حماس فرصة أن تلتقط أنفاسها وأن تخفف من الضغط الخارجي، وأنه في ثنائياها ما يمكن أن يساهم في توليد منظومة إقليمية دولية إسرائيلية قادرة على تحويله إلى دائرة من سلسلة تبادلات تؤدي في النهاية إلى وقف القتال.

السيناريو الثاني: قدرة حماس على الإبقاء على الأسرى لديها والصمود في القتال، واضطرار إسرائيل إلى الإعلان عن انتهاء الحرب دون أن تحقق أهدافها، بسبب الخسائر أو الضغط الدولي أو الداخلي أو حدث غير متوقع، وهو وضع سيمنح حماس قدرة على تحرير كافة الأسرى والاسيرات، وربما فرض نفسها على أي صيغة حكم قادمة في القطاع.

السيناريو الثالث: ويتمثل في تمكّن إسرائيل من الاستمرار في الضغط عسكريًا وإنسانيًا (استمرار الحصار) مع توسع انتشار جنودها في القطاع مع كل ما يولّده هذا من ضغط، وما يوفره من فرص لجمع معلومات وتصفية قيادات وإضعاف حركة حماس، بحيث تجعل انتهاء القتال مرهونًا بعودة الأسرى.

السيناريو الرابع: تمكّن إسرائيل من رصد أماكن تواجد الأسرى وتوجيه ضربات أو تنفيذ عمليات خاصة لتحريرهم تنتهي بقتلهم أو قتل بعضهم أو فك أسرهم.

خاتمة

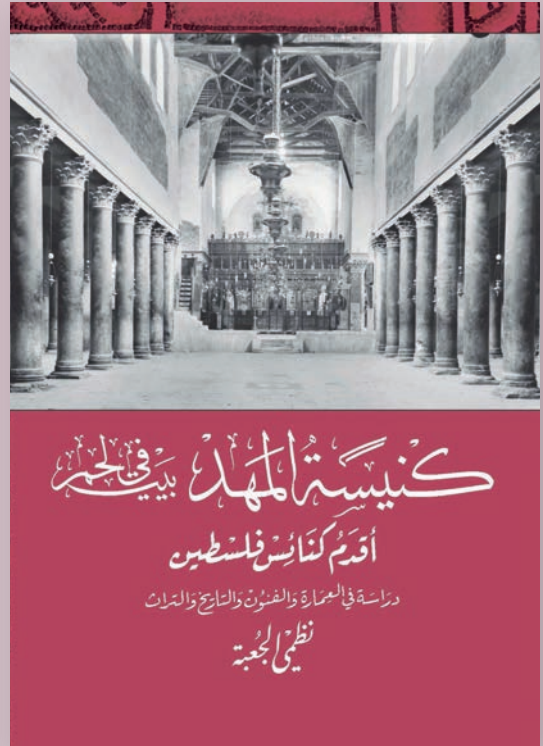
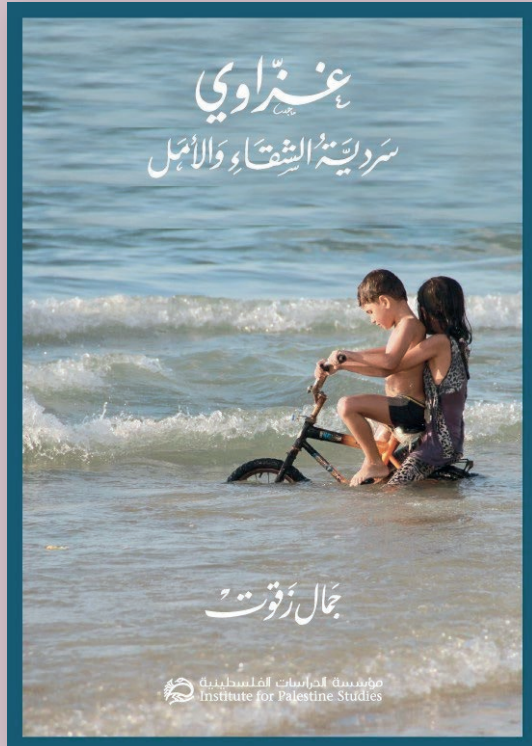
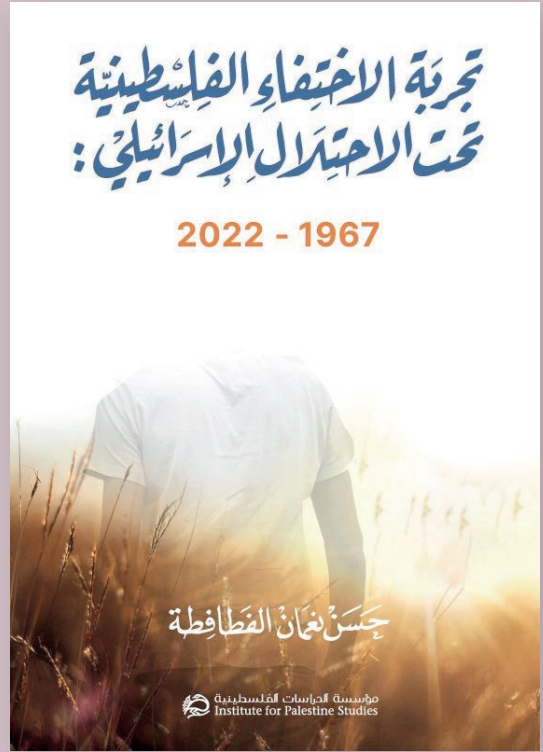
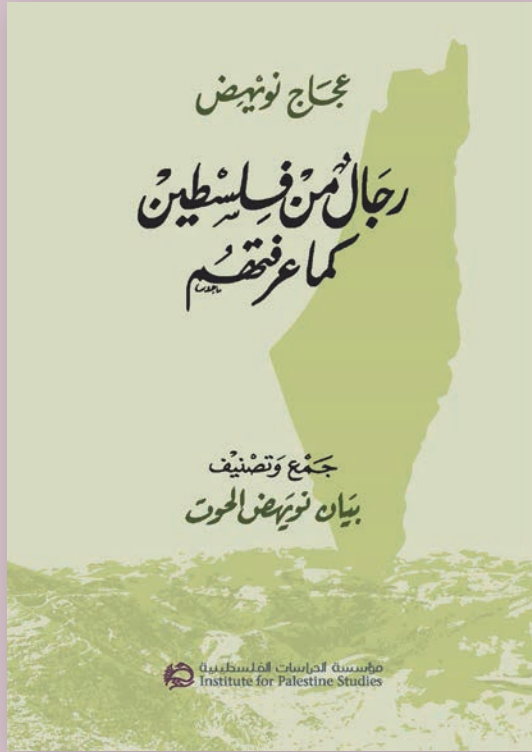
في هذه اللحظة من القتال تبدو كل السيناريوهات ممكنة، ولكن الأمر الذي لا يمكن تجاهله هو أن شكل النهاية وأمد القتال سسيتوقف بشكل حاسم على هذه الصورة وما سيؤول إليه مصير الأسرى الاسرائيليون. لا يبدو أن حماس فقدت قدرتها على إدارة هذا الملف وهو ما يعني أن هؤلاء الأسرى ما زالوا ذخراً وكنزاً ثميناً في يدها، كما أن قيادة الحرب ما زالت قادرة على كسب الوقت والمناورة أمام العائلات بالتوازي مع تكثيف ضغطها على الأرض ومحاولة إيجاد حلول عسكرية للقضية. إن الواقع الميداني على الأرض والذي تبدو فيه نتائج الحرب صفرية وغير قابلة للحلول الوسط، هو الذي سيحدد بشكل حاسم أي السيناريوهات سيفرض نفسه في النهاية.

قائمة المراجع

- ¹ "بضع كلمات حول قانون هانيبال" عبرية، الصحفي عميت سيجال.
- ² "موحدون خلف أهداف الحرب: نتنياهو جالنت جانتس"، مؤتمر صحفي.
- ³ "مليون أسير فلسطيني منذ 1967" العربي الجديد.
- ⁴ "واجب الأمة تجاه أسرى فلسطين" هيئة علماء المسلمين.
- ⁵ "الحاخام تميز جرانوت: مبادئ قومية وإخلاقية في إفتداء الاسرى".
- ⁶ "مختصر تاريخ صفقات التبادل الكبرى التي نفذتها إسرائيل"، قناة 13.
- ⁷ لجنة شمغار تقدم تقريرها: "انتهى عهد الوسطاء"، واي نت.
- ⁸ "ثمنه تبييض سجون الاحتلال" .. القسام: مستعدون لإنهاء ملف الأسرى الإسرائيليين، التلفزيون العربي.

إصدارات جديدة من مؤسسة الدراسات الفلسطينية

www.palestine-studies.org/ar/Books



الموسوعة التفاعليّة للقضيّة الفلسطينيّة

مشروع رقمي من إعداد مؤسسة الدراسات الفلسطينية، نفذ بالشراكة مع المتحف الفلسطيني. تتبّع الموسوعة تاريخ فلسطين الحديث منذ نهاية الحقبة العثمانية حتى الوقت الراهن، وتتضمّن آلاف النصوص، أعدّها، خصيصًا للمشروع، باحثون مُختصّون بالقضية الفلسطينية، عرب وأجانب.





* عن المؤلف

عصمت منصور، أسير محرّر، كاتب وصحافي متخصص في الشأن الإسرائيلي.

من مقالاته:

شيرين أبو عاقلة، والخرم في جدار إسرائيل الحديدي
عام على نفق الحرية!

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام 1963 غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية و الصراع العربي - الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعتبر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.



www.palestine-studies.org/ar

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شارع أنيس النصولي - فردان، بيروت - لبنان

+961 1-80-49-59

www.palestine-studies.org

@ ipsbeirut@palestine-studies.org

palstudies_ar

@ palestinstudies.ar

f instituteforpalestinestudies